الباب الثالث

مناهج البحث في دراسة التكوين النفسي للانسان

* تمهيد * المنهج التتبعي * الطريقة الاسترجاعية * دراسة سيرة الحياة * دراسة تاريخ الحالة * ملاحظة السلوك الانساني * التجريب * الاختبار المقنن * القياس * قياس آثار الانفعال .

تمهيد :

تمتاز العلوم الموضوعية الحديثة بوجود طرائق عامة يستخدمها الباحث في وصوله الى نتائج علمية ، وكلما كانت الطرائق واضحة المعالم سهلة الاستخدام ومشتركة لدى الباحثين جميعاً في التطبيق ، كانت النتائج أكثر موضوعية وعلمية. ولعلم النفس التكويني مناهج موضوعية متعددة وهو بذلك قد تجرد من بقايا صلاته بالآراء الفلسفية والفرضيات النظرية . وقد غدا بذلك علماً يعتمد على الملاحظة والتجريب والاختبار والقياس . وتعدد الطرق إنما يرجع الى طبيعة التكوين النفسي لدى الانسان ، فالتكوين النفسي هو عملية معقدة بعيدة الجذور وهو محصلة لعوامل متعددة ومتفاعلة ونحن حين ندرس التكوين النفسي في مراحله النامية فانما ندرس الظواهر والآثار والايماءات والنتائج .

أما حقيقة التكوين النفسي وجوهره وكنهه فذلك ما اختصت به الفلسفة

وما وراء الطبيعة ، وذلك أمر لم يخضع بعد للملاحظة المباشرة ، وإنما يستدل عليه بما له من آثار وسلوك . . وعلم النفس التكويني في هذه الناحية أشبه ما يكون بالعلوم الطبيعية التي حين ندرس الكهرباء أو المغناطيس أو الجاذبية أو الضغط فانما ندرسها بما لها من آثار وأعراض ، والتكوين النفسي أشد من ذلك تعقيداً وأعمق جذوراً . وهذا احد اسباب تعدد مناهج البحث في هذا العلم ، وتعددها إنما يفيد في ضبط النتائج الواحدة التي يتوصل إليها الباحث النفسي ، وكلما تعددت الطرق والمسالك وكانت النتائج واحدة أو متقاربة كانت الدراسة أصح وأشمل وأدق . فالطرق يتمم بعضها بعضاً ، ويقوم أحدها مقام الرقيب الضابط لما توصلت اليه الطريقة الأخرى .

فالباحث النفسي لا يقنع باتباع طريقة واحدة في دراساته ، وإنما يتعمد الاستعانة بالطرق الكثيرة المتوفرة ، وبذلك يتوصل الى اكتشاف حقائق نفسية موضوعية في البحث العلمي الحديث . وطرق البحث كلها إنما تعتمد على ركنين أساسيين وهما الملاحظة والتجريب . وعندما تختلف اسماء الطرق فان اختلافها إنما يشير إلى صفة بارزة في كيفية استخدام الملاحظة المقصودة المنظمة أو التجريب المقنن المقاس .

المنهج التتبعي Genetic Method :

هذا هو المنهج الرئيسي في دراسة التكوين النفسي للانسان ويتلخص بملاحظة التكوين في إبعاد النمو الجسمي والانفعالي والعقلي على ازمنة متتابعة في العمر تبدأ مع اول الحياة ثم تسير في مراحلها المتعاقبة ، وذلك بتسجيل كل ما يتصل بذلك البعد من مظاهر وسلوك وانفعال .

ففي دراسة التكوين الحركي مثلا يسير الباحث متتبعاً مظاهره من المهد ثم في سلمه النشيط المتصاعد في الطفولة والشباب ، ثم يسير في فترة الاستواء في الرجولة او الأمومة ومنه إلى تكوين حركي هادىء خامد حتى ينتهي بالسكون الذي يعني « الموت » « وكذلك الحال في التكوين العقلي . حيث يبدأ الباحث دراسته